

مكانة الجزائر الدولية في العهد العثماني

✍ د. مراد بوجباش
أستاذ محاضر أ
المدرسة العليا للأساتذة . بوزريعة

Résumé

Nous proposons dans cet article une réflexion sur la grandeur de l'Algérie en tant qu'Etat indépendant pendant la période Ottoman en se basant sur une approche historique en démontrant les relations qui existait entre l'Algérie et ..les Pays Etrangers

الكلمات المفتاحية: الجزائر ، الأيالة ، العلاقات الجزائرية الأوروبية ، المكانة الدولية ، الدولة العثمانية

تمهيد :

الضفة الجنوبية للبحر المتوسط. فبعد تصفيتها للوجود الإسلامي عملت اسبانيا على احتلال الموانئ والمناطق الإستراتيجية في الجزائر ، فاحتلت المرسى الكبير يوم 12 أكتوبر 1505 بقيادة الكاردينال « فرانسيسكو خيمينيث دي ثيسنيروس»^{*} ، ووهران يوم 18 ماي 1509 و بجاية عام 1514 و اعتبرهم مدنا نصرانية و إلحاقهما من حيث الإدارة الدينية بالكنيسة المقدسة في طليطلة²، ففرضت الجزية على المدن الساحلية المحتلة ، و أمام هذا الوضع لم يجد السكان الجزائريون من وسيلة إلا الاستنجاد بالأخوين عروج و خير الدين بربروس لإنقاذهم من الوجود المسيحي الاسباني و بذلك بدأ في الجزائر عهد جديد و هو دخول الجزائر تحت راية الخلافة الإسلامية بداية من عام 1514.³

لقد عاشت الجزائر خلا فترة الحكم العثماني أوضاعا سياسية و اقتصادية و عسكرية تأرجحت بين الجيدة أحيانا و السيئة أحيانا أخرى ، و أمر طبيعي أن ينعكس هذا الوضع على الوضع العام للدولة و كان ذلك ضمن السياق العام الذي عرفه العالم الإسلامي منذ الحروب الصليبية حيث كان للجزائر نصيب من هذه الأحداث كان بدايتها الغزو الاسباني و نهايتها الاحتلال الفرنسي¹.

لقد مرت الجزائر مع بداية القرن السادس عشر بظروف صعبة مع تفاقم الخطر الاسباني و الايطالي و احتلالهما لموانئ جزائرية و خاصة بعد سقوط الأندلس العام 1492 حيث تحولت الحملات الصليبية الى

لأنجلترا كجزء من مهر الأميرة كاترين من تشارلز الثاني ، غير أن إنجلترا سرعان ما اكتشفت أن تكاليف حماية طنجة ضد المسلمين المغاربة كانت كبيرة جدا فتخلت عنها في سنة 1684 م لإمبراطور مراكش ، وعليه تركت البرتغال آخر أثر من آثارها في مراكش فيما بين سنة 1769 و 1791.

و في هذه الظروف ظهرت على الساحة الدولية دولة جديدة منافسة للدول الأوروبية ألا وهي الولايات المتحدة الأمريكية التي حاولت أن تستولى على مدينة طرابلس بأية طريقة حتى و لو أدى الأمر إلى إقامة حكومة صورية في المدينة من أفراد الأسرة «القرمانلية»* و التي تكون موابية لها و ذلك لضمان مرور سفنها التجارية دون عائق و من غير دفع الرسوم اللازمة.⁶

و خلال هذه الفترة كانت الحكومة الجزائرية تتمتع بكل صلاحياتها كدولة و منها :

1 - ضرب النقود باسمها و اتخاذ الأختام الخاصة بها .

2 - انفراد الحكومة الجزائرية بحق عقد المعاهدات و الاتفاقيات الدولية على اختلاف أنواعها حتى مع الدول المعادية للسلطنة العثمانية بالإضافة إلى البعثات الدبلوماسية.

3 - تمتعها بكامل استقلالها مع أقوى الدول الأوروبية و حتى الولايات المتحدة الأمريكية.

فالأستاذ سعد الله يرى أنه خلال فترة 1516-1830 ظهرت إلى الوجود دولة جزائرية تقوم على الوحدة الجغرافية و السياسية و الاقتصادية للبلاد ، بالإضافة إلى الوحدة الفكرية و الروحية التي قامت منذ الفتح الإسلامي. كما كانت هذه الدولة مؤيدة من طرف أغلب سكان الجزائر و معززة بجيش بري و أسطول بحري و ذات علم و برلمان و نقد و عاصمة ، و في نفس الوقت كانت للدولة الجزائرية تقاليد

أظهر عروج و خير الدين مقاومة للغزو المسيحي و حماية للمسلمين الفارين من الأندلس ، فقد استنجد بهما سكان تلمسان و طلبوا منهما - باسم الإسلام - القضاء على السلطان «أبي حمو الثالث»** الذي تحالف مع الاسبان و كانت النتيجة طرد الاسبان من تلمسان و استشهاد عروج سنة 1518 في إحدى المعارك ، فقرر مجلس أعيان مدينة الجزائر اختيار خير الدين حاكما على الجزائر و ذلك بعد أن « صدّ حملة اسبانية على الجزائر بتأييد الجزائريين الذي التفوا حوله لتطهير البلاد من التدخل الاسباني الفظيع .»⁴

الجزائر في العهد العثماني

أعلنت الجزائر كمقاطعة تابعة للسلطنة العثمانية سنة 1520 و استطاع خير الدين تكوين دولة عاصمتها مدينة الجزائر بسطت نفوذها على كامل القطر الجزائري ، و بذل خير الدين جهودا لتقوية دولته من خلال المئات من بناء السفن و رجال البحر و العمال و الفنانين و الحرفيين ، فبنوا مدينة أطلق عليها اسم « المدينة التي لا تقهر » و شكلوا قوة بحرية أرعبت أساطيل البحرية الأوروبية.⁵

شهدت فترة الحكم العثماني في الجزائر في علاقتها بالدول الأوروبية المسيحية تراوحا بين فترة حرب

و فترات سلام ، و كانت المصلحة هي الرابط الأساسي بين الدول، حيث استطاعت الجزائر خلال هذه الفترة بناء علاقات متشعبة و في كل الاتجاهات و مع كل الدول و كانت هذه العلاقات خاضعة لمتغيرات الوضع المحلي و الدولي و تحاذباته.

مع نهاية القرن السابع عشر و بداية القرن الثامن عشر بدأت الهيبة الأوروبية تتلاشى عند بعض الدول ، فقد تنازلت البرتغال في سنة 1662 عن طنجة

- العرفية و الدبلوماسية حسب القانون الدولي المعمول به آنذاك.⁷
- و يؤيد رأي الأستاذ سعد الله الأستاذ إبراهيم مياسي فيقول : « لقد ظهرت الدولة الجزائرية الحديثة مع بداية القرن السادس عشر الميلادي بانتمائها إلى السلطة العثمانية و بذلك بدأت معالم الحدود الإقليمية للدولة الجزائرية تظهر و تستقر تدريجيا و ينمو معها الكيان السياسي للجزائر المنفصلة عن تونس و المغرب .. و بذلك ظهر نوع من الشعور الوطني لدى المواطنين جعلهم يدفعون لتدعيم هذه الدولة الفتية و حماية هذا الوطن العزيز من المسيحيين المتعصبين.⁸
- كما بلغ أسطولها البحري قوة عظيمة بحيث استطاع خلال القرن الثامن عشر إحداث نظام للملاحة في المتوسط يضمن أمن الدولة الجزائرية و الدولة العثمانية عامة و بصورة أعم بالنسبة للتجارة الدولية في البحر المتوسط، و هو ما جعل الدول الأوروبية تعمل على إنهاء هذا النظام تحت غطاء القضاء ما كان يسمى «بالقرصنة» التي كانت تمارسها جموع المغامرين الأوروبيين بموافقة دولهم مؤازرتهم ، في حين أنّ العمل الذي كانت تقوم به الجزائر كان أسلوبا دفاعيا لمواجهة المد الاستعماري الذي انطلق منذ القرن الخامس عشر و الذي دخلت الجزائر بمحض إرادتها من اجله ضمن الخلافة العثمانية.
- و لقد كانت هذه القوة الجزائرية في البحر المتوسط وراء التكتلات الأوروبية حيث عرضت القضية الجزائرية في مؤتمر فيينا 1815 و مؤتمر ايكس لاشايل.⁹
- و كان الهدف من بناء الأسطول دفاعيا محضا ، ففي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا و فرنسا و هولندا و البرتغال تقوم بعملية القرصنة ضد بعضها من جهة و ضد الشعوب الأخرى من جهة ثانية ، كانت الجزائر تستخدم قوتها البحرية لغرضين :
- 1 - هو حماية حدودها من العدوان المحقق.
- 2 - الدفاع عن الإسلام من الصليبية المتعصبة¹⁰
- و أمام قوة الدولة الجزائرية كانت الدول الأوروبية تدفع مقابل السلم أو مقابل الحماية أو التبادل التجاري ضرائب باهضة للدولة الجزائرية ، فقد أورد « ليون قابيير » ما تدفعه الدول الأوروبية للجزائر كما يلي:¹¹.
- 1 - مملكة الصقليين تدفع مبلغ 44 ألف بياستر سنويا منها 24 ألف نقدا و الباقي في شكل بضائع.
- 2 - مملكة سردينيا تدفع مبلغا كبيرا من المال كلما جددت قنصلها بالجزائر.
- 3 - البرتغال تدفع نفس ما تدفعه الصقليين.
- 4 - مملكة طوسكانة تدفع 28 ألف بياستر كلما قدم لها قنصل الى الجزائر.
- 5 - اسبانيا تدفع مبالغ مالية كلما جددت قنصلها.
- 6 - النمسا تدفع هدايا دورية غير مباشرة و عن طريق الدولة العثمانية.
- 7 - إنجلترا تدفع 600 جنيه استرليني كلما جددت قنصلها.
- 9 - هولندا تدفع 600 جنيه استرليني.
- 10 - هانوفر و برسم الألمانية تدفعان مبالغ كبيرة كلما جددت قنصلها.
- 11 - السويد و الدانمارك تدفعان مبالغ مالية كبيرة سنويا في شكل مواد حربية.
- و يعني هذا أنّ الجزائر كانت دولة مستقلة و ذات سيادة - رغم تبعيتها للسلطنة العثمانية - و كان لها علم خاص بها و عملة و جيش و علاقات دبلوماسية ، و كانت دبلوماسيتها تقوم على مبدئين أساسيين:¹²
- المبدأ الأول :** أنّ كل دولة تعتبر محاربة حتى توقع معاهدة صداقة و يلام مع الجزائر.

1792. 16

و منذ أن برز القطر الجزائري كقوة تثير الرهبة و محافظة على أمنه و استقلاله ، اشتدت أطماع الاسبان في أواخر القرن الخامس عشر و السادس عشر لاستغلال ثرواته المعدنية و الزراعية و الحيوانية ، و لكسر شوكتة و القضاء على أسطوله القوي و قوته البحرية التي كان يحسب لها في ذلك العهد الزاهر ألف حساب في البحر الأبيض المتوسط.¹⁷

ويقول الأستاذ سليمان مظهر أن ما كان يفعله « رجال البحر المسلمون من هجوم على التجارة و السفن الأوروبية لم يكن قط من قبيل القرصنة كما ادعى المؤرخون و الكتاب الأوروبيون و الصليبيون .. و ما كان عروج قرصانا ، و لا كان أيضا خير الدين الذي أصبح من بعده تحت اسم برباروسا مصدر الرعب للسفن الاسبانية.¹⁸

و قد استطاع خير الدين صد هجوم على الجزائر سنة 1541 و قتل في هذا الهجوم أكثر من 3000 جندي اسباني و تحطمت عشرات السفن ، كما أسهمت الرياح في تحطيم الأسطول الاسباني على السواحل الجزائرية ، و كان لهذا النصر الكبير أثره على تغير معالم القوة في البحر المتوسط فقد أصبح الأسطول العثماني الجزائري خصما عنيدا للقوة الأوروبية .¹⁹

و لقد شنت اسبانيا على الجزائر 10 غارات كان نصيب أغلبها الخسران و الانهزام²⁰ ، حيث بدأ الاسبان حملتهم الأولى في 31 جويلية 1775 بقيادة «دون بيدرو كستيخو» و الجنرال «أورلي» و جندت لها اسبانيا ما يقارب 25 ألف رجل و أربعمئة وحدة بحرية .²¹

انتهت هذه الحملة بفشل القوات الاسبانية دخول الجزائر مما اضطرها إلى التفاوض مع الداوي محمد عثمان باشا» الذي رفض التفاوض مع الاسبان رغم محاولة السلطان العثماني ، و في هذا الصدد يقول

المبدأ الثاني : أن كل معاهدة لا تعترف بتفوق الجزائر البحري في المتوسط لا يمكن قبولها من طرف الجزائر.

و يرى الأستاذ يحي بوعزيز أن مصدر قوة الجزائر في العصر العثماني يعود إلى الوعي الكامل بالخطر الأوروبي المهدد بالدولة ، و بالتالي السعي إلى إعداد نفسها لمواجهة سياسيا و عسكريا و اقتصاديا و فعالية موقعها الاستراتيجي أدى بها إلى الاهتمام ببناء قوة عسكرية بحرية و ذلك لفرض إرادته على الخصوم.¹³

و لم يكن الهدف من بناء قوة بحرية في المتوسط الغزو او القرصنة كما تتضمنها كتابات المؤرخين الغربيين، و إنما هو صيانة الأرض الجزائرية عندما اشتدت رغبة المسيحيين في اكتساحها على أيدي المحاربين الاسبان بعدما أخذت نور الإسلام ببلاد الأندلس و ذلك استمرار لما كان يسمى بالفتح الجديد أو الركونكستا.¹⁴*

العلاقات الدولية للجزائر :

و يمكن أن نبين الصورة للسياسة الخارجية للجزائر من خلال دراسة العلاقة مع أبرز الدول العالمية في ذلك الوقت :

أولا : العلاقات الجزائرية الاسبانية :

منذ سقوط الأندلس العام 1492 بدأ الاسبان التوسع في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط و استطاعوا منذ اوائل القرن الخامس عشر افتكاك سبتة من البرتغاليين و احتلال مليلة عام 1497 و وصلوا حتى طرابلس الغرب ، كما احتلوا مرسى الكبير عام 1505 و وهران عام 1509 و بجاية عام 1510 و فرضوا شروطا على مدن دلس و تنس و مستغانم و الجزائر و اعترفت لهم امارة بني زيان بهذا الاحتلال¹⁵، و لم يستطع الشعب مواجهتهم إلا بالاستنجاد بالعثمانيين الذين استطاعوا طرد الاسبان بعد محاولات عديدة آخرها كان عام

و عموما كان على الجزائر أن تفرض شروطها على الاسبان حتى لا تعود مرة أخرى و يحاولون الاستيلاء على البلد أو محاربتها²⁶، فالعلاقات إذا بين الجزائر و اسبانيا كانت سيئة منذ البدء و من فعل الاسبان حيث كانت أولوياتهم تنفيذا لوصية الملكة ايسابيلا التي تركت لهم أمرين هامين :

1 - عدم التوقف في العمل لغزو إفريقيا أي بلدان المغرب.

2 - عدم التوقف في مصارعة الكفار اي المسلمين.²⁷ و عليه فإنّ الحروب الاسبانية في إفريقيا قد أخذت صبغة الصليبية الحقيقية نظرا للدور المتميز الذي قام بأدائه رجال الكنيسة و الكهنوت ، فالكنيسة في اسبانيا قد اهتمت بجميع ما لديها من الحماس و الجرأة بهذه المعركة ضد الإفريقيين ، بل إنها كانت في أغلب الأحيان تعتبر المعركة بأسرها معركة خاصة بها .²⁸

ثانيا : العلاقات الجزائرية الأمريكية :

امتازت العلاقات بين الجزائر و الولايات المتحدة الأمريكية بنوع من الفتور و ذلك بسبب مواقف الجزائر من بعض القضايا الاقتصادية ، و كانت العداوة بين البلدين قائمة خاصة بعد إمضاء معاهدة سلام مع اسبانيا العام 1786 .

و يذكر الأستاذ سعد الله أنّ العلاقات الجزائرية الأمريكية مرت بأربعة مراحل :²⁹

المرحلة الأولى : من الثورة الأمريكية سنة 1775 إلى إعلان الجزائر الحرب على أمريكا سنة 1785.

المرحلة الثانية : من سنة 1785 إلى معاهدة الصلح الأولى بين البلدين سنة 1795.

المرحلة الثالثة : من سنة 1795 إلى مفاوضات الصلح الثانية سنة 1815.

المرحلة الرابعة : من سنة 1815 إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830.

دي قرامون « و لم تغد التنازلات التي رأى ملك اسبانيا شارل الثالث أنّ عليه أن يقدمها للداي محمد عثمان فقد رفض الداي قبول عرضه بعقد السلم رغم التجاء شارل الثالث إلى الخليفة العثماني الذي أرسل مبعوثا خاصا للجزائر للتوسط له لدى الداي الذي أجاب المبعوث إني اعرف أنّ شارل الثالث يعد حملة ضدي لكني لا أخافه ».²²

حاول الاسبان احتلال الجزائر ثانية يوم 1 أوت 1783 بقيادة « دون انطيو بارثيلو » بالتعاون مع البرتغال الذي شرع في قصف مدينة الجزائر لكن لم يفلحوا للمرة الثانية في احتلال مدينة الجزائر.²³

حاول الاسبان للمرة الثالثة احتلال مدينة الجزائر يوم 11 جويلية 1784 بعدة قدرها 130 سفينة كبيرة و تحالف مع فرسان مالطة و نابولي و بمباركة من البابا ، لكن لم يفلحوا في ذلك فقرروا التوقف نهائيا و انتهاج الاسلوب الدبلوماسي في تعاملها مع الجزائر.²⁴ و رغم ذلك لم ترق العلاقات الجزائرية الاسبانية إلى درجة التفاهم رغم تحقيق السلم بينهما دفعت من خلاله اسبانيا للجزائر ما يقارب اربع ملايين دولار في الفترة من عام -1785 1790²⁵ تخللتها معاهدة مبرمة بين محمد عثمان باشا داي الجزائر و دون كارلوس الثالث ملك اسبانيا يوم 14 جوان 1786 أهم ما جاء فيها :

1 - أن تدفع اسبانيا للجزائر 60 ألف دولار كل سنة.

2 - أن تزود كل قنصل جديد بهدايا لا تقل قيمتها عن 42 ألف دولار.

3 - ان تتخلى اسبانيا عن كل ادعاء لها في ثلاث مراكب كانت تطالب بها.

4- ان تدفع 30 ألف دولار لوزراء الداي و كبار رجال الدولة.

المرحلة الأولى : 1775 - 1785 :

امتازت هذه الفترة بتجاذب بين الدولتين و عدم الاستقرار في المواقف ، فقد كانت أمريكا تحاول مرارا ربط علاقاتها بالجزائر عبر وسطاء أوروبيين و خاصة فرنسا و هولندا و بريطانيا إلا أنّ محاولاتها باءت بالفشل فكان إعلان الحرب على أمريكا سنة 1785 إثر قبض الجزائر لسفینتين أمريكيتين و أسر رعايا أمريكيين كانوا على متنهما.

لقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الفترة تعادي الجزائري و تحاول تكوين حلف أوروبي معادي للجزائر هدفه الظاهر إيقاف القوة الجزائرية في البحر المتوسط و شرق الأطلسي و هدفه الباطن السيطرة على البحار . لكن هذه السياسة باءت بالفشل خاصة بعد إبرام الجزائر معاهدة صلح مع اسبانيا سنة 1785.³⁰

المرحلة الثانية : 1785 - 1795 :

لقد كانت الفترة الممتدة بين 1785- 1795 فترة لا استقرار في العلاقات بين الدولتين ، فقد تباينت المواقف الأمريكية داخل الولايات المتحدة ، فهناك موقفا ينادي بضرورة السلام مع الجزائر لحماية مصالحها في المتوسط ، و موقفا ينادي بالعداء و ضرورة محاربة الجزائر . لكن الموقف الأول كان الغالب و ساهم في توقيع معاهدة سلام و صداقة بين البلدين يوم 5 سبتمبر 1795 و قعها من الجانب الأمريكي جورج واشنطن و من الجانب الجزائري حسين باشا ، و تتكون المعاهدة من 22 بندا أهمها حسن الجوار و حماية السفن الحربية و التجارية الأمريكية في المتوسط و غرب المحيط الأطلسي ، كما تنص المعاهدة على تبادل الأسرى و عدم التعرض للرعايا الأمريكيين في كل الأقاليم التابعة للدولة الجزائرية .

و قد جاء في دباجة المعاهدة المبرمة بين الدولتين :

« من تاريخ إبرام هذه المعاهدة سيحل السلام الدائم و الصداقة المخلصة بين رئيس الولايات المتحدة الأمريكية و مواطنيها و بين حسين باشا داي الجزائر و ديوانه و رعاياه ، و أنّ سفن و رعايا الأمتين سيتعاملون بشرف و احترام».³¹

مع العلم أنّ أمريكا طوال هذه المدة « لم تترك دولة أوروبية لم تتصل بها من الصغرى مثل البندقية إلى المتوسطة مثل هولندا إلى الكبرى مثل روسيا لتكون معها حلفا ضد الجزائر خاصة و الدول المغاربية عامة، ظاهره الخداع و المكر السياسي».³²

و قد كان موقف المؤرخين الأمريكيين على هذه المعاهدة ايجابيا فقد أورد المرحوم مولود قاسم موقف المؤرخ اورين في كتابه « تاريخ العلاقات الدبلوماسية الأمريكية البرباروسية » « ما يلي : « و لئن كانت هذه المعاهدة مع الجزائر تتضمن تضحية في الكرامة القومية للولايات المتحدة الأمريكية و مرهقة لماليتها ، فقد كانت لها على الأقل ثلاث فوائد رئيسية :

- 1 - إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين في الجزائر.
- 2 - إقامة سلم مع أقوى بلدان المغرب و أخطرها شأنا.
- 3 - توسط الجزائر بطلب من أمريكا لدى كل من حمودة باشا باي تونس ، و محمد يوسف كرملي باي طرابلس لعقد معاهدة سلم معهما بضمان داي الجزائر.³³

المرحلة الثالثة : 1795 - 1815 :

امتازت هذه المرحلة بتوتر كبير في العلاقات بين الدولتين و يعود ذلك إلى تنفيذ معاهدة 1795 و الخاصة بالضريبة و التي كان الاتفاق حول دفعها عتادا حربيا ، لكن الطرف الأمريكي أراد غير ذلك مما أدى إلى إعلان الحرب بين الدولتين حيث وقفت

و منه كانت العلاقات الجزائرية الانجليزية وطيدة حيث أكد «دو غرامون» أنّ : « الانجليز في بداية القرن السادس عشر كانوا يتبادلون تجارة كبيرة مع الجزائر و كانت تلك التجارة متطورة بقدر ما كانت الدول الكاثوليكية عاجزة عن منافستها في هذا المجال.. فكانت الإمدادات العسكرية و البحرية التي كانوا يبيعونها للجزائر مقابل الحبوب و الزيوت و الأصواف ..»³⁴

إلا أنّ التطورات التي حدثت في أوروبا و منها عودة السلم إلى القارة بين الدول التي كانت متناحرة و تطور جو التنافس و القرصنة البحرية أدى بالانجليز إلى دخول معترك التنافس مع الجزائر إذ نجدها رغم كونها أقوى الدول الأوروبية قد شنت هي كذلك العديد من الحملات العسكرية على الجزائر منها حملة 1669 على الجزائر و تخريب مدينة بجاية عام 1671 الاعتداءات على مراكز الجزائر في عرض البحر³⁵. انتهت بعقد معاهدة يوم 6 افريل 1682 بين الداوي بابا حسن و الملك شارل الثاني حيث تخلت بريطانيا عن 350 وحدة بحرية تجارية و ذلك إثر هزيمة الأسطول الانجليزي.³⁶

و أهم حملة قامت بها بريطانيا كانت يوم 27 أوت 1816 بقيادة «اللورد اكسماوث»* أين تحالف الانجليز و الهولنديين ضد الجزائر انتهت بعقد معاهدة أهم ما جاء فيها :³⁷

1 - أن يعامل الأسرى في المستقبل كأسرى و ليس كعبيد و يتم تبادلهم دون فدية.

2 -تحريم استرقاق المسيحيين الأوروبيين تماما في المستقبل.

3 - إطلاق سراح جميع العبيد المتواجدين في الجزائر بغض النظر عن جنسيتهم.

الحادث المهم الثاني مع الانجليز وقع سنة 1824 حيث قام الأسطول الانجليزي بقصف مدينة الجزائر

أغلب الدول الأوربية و هي السويد و اسبانيا و انجلترا إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية فكانت حرب 1807.

و كان من نتائج هذه الحرب تدهور العلاقات بين الدولتين بين السلم الهش و التقارب الحذر طابعها الأساسي المصلحة لا الود و لا الإخاء كما جاء في اتفاقية 1795. و بقيت هذه الوضعية حتى سنة 1815 و هو تاريخ إمضاء المعاهدة الجزائرية الأمريكية الثانية . و بخلاف المعاهدة الأولى جاءت المعاهدة الثانية لصالح الولايات المتحدة الأمريكية حيث كانت هذه الأخيرة قد وجدت ضالتها أمام التدخل الأوروبي في الشؤون الجزائرية ، فكان الغرب المسيحي يساند بعضه بعضا ضد الشرق الإسلامي مهما كان نوعه و شكله و نظامه السياسي.

المرحلة الرابعة : 1815 – 1830 :

امتازت هذه المرحلة بفتور في العلاقة بين الدولتين و لم تدم طويلا ، و من خصائصها تزايد القوة الأوروبية و تقهقر القوة الجزائرية م عدم مسايرتها النمو العالمي في تلك المرحلة .

ثالثا : العلاقات الجزائرية البريطانية :

لقد كانت العلاقات بين بريطانيا و الجزائر أكثر تعقيدا و هذا يعود بالدرجة الأولى إلى كون بريطانيا قوة بحرية كبيرة في المحيط ، و دولة استعمارية تحتل أرجاء العالم ، و من هذا المنطلق كان الصراع بين الأسطولين الجزائري و الانجليزي على أشده للوصول إلى الغلبة.

لقد كانت السياسية البريطانية تعتمد على مبدئين:

1 - تأمين مصالحها الاقتصادية مع الدول المطلة على البحر و خاصة منها الدول القوية.

2 - منافسة فرنسا على سواحل المغرب الإسلامي.

من الحملات العسكرية ضد الموانئ الجزائرية بين أعوام 1683 - 1688 باءت كلها بالفشل نظرا لوجود أسطول جزائري قوي.

و في عهد الثورة الفرنسية 1789 تطورت العلاقات حيث اعترفت الجزائر بالجمهورية الفرنسية الجديدة في وقت كانت فيه فرنسا الثورة تحت الحصار الأوروبي ، حيث تكتلت أوروبا للقضاء على الجمهورية عرفت باسم « التكتلات السبعة » ، كما أقرضت الجزائر حكومة الثورة في فرنسا مليوناً من الفرنكات بدون فائدة سنة 1793 على أن تستعمل فرنسا هذا المبلغ في شراء الحبوب من الجزائر⁴².

ويورد المرحوم مولود قاسم أنّ المساعدات الجزائرية لفرنسا خمسة أنواع ، نوع قبل الثورة و أربعة بعدها :⁴³

- 1 - المساعدات العسكرية البحرية قبل الثورة و بعدها.
- 2 - المساعدات الدبلوماسية للثورة.
- 3 - المساعدات الاقتصادية للثورة .
- 4 - المساعدات المالية للثورة.
- 5 - المساعدات الإستراتيجية للثورة.

ففي عهد نابليون الأول عادت العلاقات بين البلدين على أحسن ما هي عليه ، و عادت فرنسا إلى امتيازاتها سنة 1801 لكن قنصل نابليون دييوا ثانفيل عكر صفو العلاقات و عادت الأزمة إلى ما كانت عليه من قبل، و تفاقمت سنة 1805 و خاصة بعد ما أمضى معاهدة سلام ما روسيا سنة 1807 عرفت بمعاهدة تلس .

وبعد مؤتمر فيينا عينت فرنسا قنصلا جديدا و هو « بيير ديفال » و عادت العلاقات بين البلدين خاصة بعد حملة الانجليز على الجزائر سنة 1816.

لقد تسارعت الأحداث ما بين 1815

يوم 11 جويلية 1824 حيث حاولت بريطانيا فرض شروطها على الجزائر و قد ألغاه الداي حسين من طرف واحد عام 1825 و قام بطرد القنصل البريطاني من الجزائر.³⁸

رابعا : العلاقات الجزائرية الفرنسية :

عند مقارنة العلاقات بين الجزائر و الدول الأجنبية تجد أنّ علاقة فرنسا بالجزائر كانت على العموم طيبة ، فمنذ القرن السادس عشر كانت فرنسا تتمتع في الجزائر بامتيازات تجارية خاصة³⁹. فخلال القرنين السادس عشر و بداية القرن السابع عشر دخلت فرنسا و الدولة العثمانية في علاقات تحالف عسكري هدف العثمانيين منه الوقوف في وجه الاسبان و تحطيم القوة البحرية الاسبانية و منع أي تكتل أوروبي ضد الدولة العثمانية تكون فرنسا طرفا فيه .

و نتيجة لهذا التحالف العثماني الفرنسي و الذي دعم باتفاقيات تجارية أعطت الدولة العثمانية للفرنسيين حرية الملاحة في المياه الإقليمية التي تسيطر عليها ، فكانت فرنسا أولى الدول الأوروبية التي حصلت على امتيازات تجارية في الجزائر بعد دخولها تحت الحكم العثماني مما مهد لقيام علاقات دبلوماسية حيث تأسست أول قنصلية فرنسية في الجزائر عام 1580.⁴⁰

كان هدف فرنسا على إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر ينبع من رغبتها في استغلال خيراتها الاقتصادية و احتكار استثمار المرجان الذي كان الساحل الجزائري مصدرا هاما له ، و منافسة الاسبان و إحلال محلهم في شمال إفريقيا و بالتالي السيطرة على المناطق الغنية بالثروات الطبيعية ،⁴¹ و استطاعت بفضل هذه العلاقات إنشاء أول شركة « لانش » عام 1561 في عهد الداي حسن بن خير الدين .

في عهد لويس الرابع عشر و الذي كان يطمح إلى تأسيس إمبراطورية استعمارية فرنسية فوجه العديد

و 1830 ففي الوقت الذي كانت فيه فرنسا تخطط لاحتلال الجزائر من خلال رصد نقاط الضعف والقوة على سواحلها ، كانت الجزائر ترحب بالأعداء وتعطى لهم امتيازات ظهرت فيما بعد أنها خطط عسكرية لاحتلال الجزائر.

و إذا عدنا إلى أسباب احتلال الجزائر فإنها تتراوح ما بين السياسي و الديني و الاقتصادي، و بهذا الصدد يورد الأستاذ عمار بوحوش أنّ هناك خمسة أسباب حقيقية دفعت بفرنسا إلى احتلال الجزائر و تتمحور فيما يلي :⁴⁴

1 - الأسباب السياسية : ومنه العوامل السياسية الداخلية في فرنسا و الصراع الذي كان قائما بين المعارضة التي سيطرت على مجلس النواب في انتخابات 1827 و التي خلقت متاعب للملك . أضف إلى ذلك تقهقر القوة العثمانية و منها القوة الجزائرية « الرجل المريض » و تهيب الدول الأوروبية للاستيلاء عليها.

2 - الأسباب العسكرية : و أهمها محاولة التوسع في شمال إفريقيا على حساب الوجود الإنجليزي في مصر و انشغال الجيش بالتوسع خارج الحدود الإقليمية للدولة ، فكانت الخطة العسكرية احتلال مدينة الجزائر برا ثم التوسع في باقي الأقاليم.

3 - الأسباب الاقتصادية : لقد كان للأسباب الاقتصادية دورا مهما في احتلال الجزائر ، فقد كانت هذه الأخيرة خزان مهم للمنتوجات الزراعية و الحيوانية . فاحتلال الجزائر يعني الظفر بالمخزون العالمي للحبوب و ما تبعها من المنتوجات الأخرى.

4 - الأسباب الدينية : لقد كانت الأسباب الدينية من أهم عوامل الاحتلال ن فالحروب الصليبية التي كانت فرنسا طرفا فيها لا تزال تغذي الحقد الصليبي الذي بمجرد دخوله الجزائر بدا ينفذ خطة « تمسيح » الشعب بالقضاء على مقومات وجوده من لغة و دين و عادات و تقاليد.

5- التواطؤ اليهودي - الفرنسي : ظهر هذا التواطؤ بوجود شخصيتين مهمتين ساهما بشكل كبير في احتلال الجزائر و هما باكري و بوشناق اليهوديان و الذين استطاعا احتكار التجارة الخارجية للحبوب مع دفع علاوات كبيرة للدولة فأصبحا الوكيلان المهمان للدولة الجزائرية و الفرنسية على حد سواء.

و لعله من المفيد أن نقول بأنّ فرنسا كانت البلد الأكثر استفادة من الجزائر فقد بلغ عدد الاتفاقيات التي أبرمتها الجزائر مع فرنسا بين مارس 1619 و 5 جويلية 1830 ما يقارب 57 معاهدة ، و تولى رعاية مصالح فرنسا بالجزائر خلال هذه الفترة حوالي 96 قنصلا و مبعوثا دبلوماسيا.⁴⁵

خاتمة :

يقول الأستاذ مصطفى الاشرف في كتابه « الجزائر الأمة و المجتمع » : « و مهما تصورنا الكيان الجزائري ، كاملة متمثلة في دولة ، أو كاملة متمثلة في شعب ، أو كمجرد وطن قومي موحد الكلمة ، فإنّ الجزائر قد توفر فيها عامل أساسي جعلها تصمد طيلة 130 سنة أمام دولة امبريالية قوية و ترغمها على الرجوع إلى الحق .. »

« و الجزائريون آنذاك ، مهما قيل في درجة وعيهم ، و أوضاعهم الاجتماعية ، و نمط حياتهم .. و سواء كانوا عربا رحلا أو من الحضر .. و سواء كانوا متمسكين بالقديم أو متفتحين على الجديد .. و سواء كانوا متمردين على الحكم المحلي أو خاضعين له .. متفرقين أو متحدّين في ظل دولة مستقلة لجمع الشمل و تقاوم التدخل و النفوذ و الاستغلال الأجنبي »⁴⁶.

و يقول سبنسر : « و ربما كان مفتاح عظمة الجزائر في عصر القرصنة يكمن في الوضعية الجذابة الخاصة بها .. فقد كانت تبرز صورة وحيدة من نوعها

الهوامش:

- 1 ناصر الدين سعيدوني . دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني . الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ج2، ص9
- 2 مولود قاسم نايت بلقاسم . شخصية الجزائر الدولية وهيتها العالمية قبل 1830. الجزائر ، دار الأمة ، ج1 ، ص 129.
- *شخصية كبيرة و مؤثرة في تاريخ اسبانيا ، ولد في توريلاقونا عام 1436 حيث كان أمين الملكة ايزابيلا ، دخل الجزائر ووهران ، وتوفي عام 1517.
- <http://ar.wikipedia.org>
- 3 د. عمار بوحوش . التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962. بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط1. 1997 ص 525
- **هو واحد من الإخوة المنتمين للأسرة الحاكمة حيث كانوا يتصارعون على حكم عرش تلمسان و أحدثوا اضطرابا في الحالة الداخلية للبلاد . حقق أبو حمو الثالث مراده وحكم عرش تلمسان من 1516 إلى 1528 إلى أن أقصي من طرف الدولة العثمانية التي بدأت تنشر سيطرتها خاصة السياسة على الدولة الزيانية بما أنها صارت تابعة لها وتحت ظل خلافتها.
- <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- 4 احمد محمد عاشور أكس. صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الفرنسي. ط1. المؤسسة العامة للثقافة 2009. ص95.
- 5 عاشور أكس ، مرجع سابق ، ص 96.
- 6 نفسه ، 112
- *. الأسرة القرمانيية هي أسرة حكمت ليبيا لمدة قرن و ربع تقريبا بعد

في تاريخ البحر الأبيض المتوسط، و قد أعطى أحد نبلاء فرنسا و هو في طريقه سنة 1619 إلى استنبول في مهمة رسمية انطباعا حيا عن تلك الجاذبية التي كانت لمدينة الجزائر في عز قوتها ، فيقول ك مدينة الجزائر ، ذلك السوط المسلط على العالم المسيحي ؟ إنها رعب أوروبا ، و لجام إيطاليا و اسبانيا و صاحبة الأمر في الجزر...و إن عجز الأوربيين من النيل من الجزائر بالقنبلة البحرية قد ساعد المدينة على الاحتفاظ بذلك الحمل العجيب الثقيل عليهم المرهق لهم .. أما بالنسبة للحكام الأوربيين ، فإن رؤساء دولة الجزائر ظلوا دائما السادة الأمجاد العظام ... و عاصمتهم المحروسة جدا و دار الجهاد دائما ضد الكفار»⁴⁷ .

إذا هذه هي الجزائر، فهما حدث من كيد الأعداء أو تحاذل الأبناء فستبقى قائمة شامخة



- ثورة قام بها احمد القرمانلي 15 يحي بوعزيز ، موضوعات و قضايا ، مرجع سابق ، ص 239
- 7 أبو القاسم سعد الله. أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر .الجزائر ، دار المعرفة 2015 ج1 ، ص 64 7
- 16 أحمد سليمان . النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، الجزائر ، مطبعة دحلب .د ت ص 38.
- 8 إبراهيم ميايبي ، دوافع احتلال فرنسا للجزائر ص 92
- 17 عاشور أكس ، مرجع سابق ، 94.
- 9 بو عبد الله جفدان . المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية 1815 – 1830 مذكرة ماجستير في التاريخ ، جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس²⁰¹⁵
- 18 نقلا عن عاشور أكس ، مرجع سابق ص 96.
- 19 عاشور أكس ، مرجع سابق ، ص 100.
- 20 مولود قاسم ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 64.
- 21 نفسه ، ص 160
- 22 نفسه ، 162.
- 10 سعد الله. أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر .الجزائر ، دار المعرفة 2015 ، ص 282.
- 11 يحي بوعزيز. الموجز في تاريخ الجزائر ، 2/1 ، الجزائر ، عالم المعرفة ، 2009 ، ص 99/98.
- 12 سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، ص 283.
- 23 احمد توفيق المدني . حرب الثلاثمائة سنة ص 513.
- 24 يحي بوعزيز . المراسلات الجزائرية الاسبانية ...ص 22.
- 13 يحي بوعزيز. موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، ج 4 ص 248.*
- 25 يحي بوعزيز . الموجز في تاريخ الجزائر . الجزائر ، عالم المعرفة ص ص 76-81
- 26 احمد توفيق المدني . محمد عثمان باشا ص 108-109
- 27 مولود قاسم . مرجع سابق ، ص 123-126
- 28 عاشور أكس ، مرجع سابق ص 97.
- 29 سعد الله . أبحاث و آراء ، مرجع سابق ، ص 288.
- 30 د. يحي بوعزيز ، . الموجز في تاريخ الجزائر 1 – 2 . الجزائر ، عالم المعرفة ، 2009 ، ص 53.
- 31 سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 290.
- 32 مولود قاسم ، المرجع السابق ، ص 219.
- 14 أحمد توفيق المدني . محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986 ، ص 96.

- 33 نفسه ، ص 232.
- 34 مولود قاسم ، مرجع سابق ، ص 182-183
- 35 يحيى بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، ص 41.
- *اللورد أكسهاوث شخصية بريطانية بمحنة عسكرية قاد الحملة العسكرية على الجزائر سنة 1816 بصحبة الامير فان كابلن.
- <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- 36 مولود قاسم ، مرجع سابق ، 189.
- 37 د. علي تابليت . بحوث في تاريخ الجزائر ، ج 1 ، الجزائر ، وزارة المجاهدين 2004 ، ص ص 384/385
- 38 مولود قاسم ، مرجع سابق ، ص 196.
- 39 ابو القاسم سعد الله . محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث . الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1982 ، ص 3.
- 40 نفسه ، ص 5.
- 41 بوحوش ، مرجع سابق ، ص 82.
- 42 سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، ص 13.
- 43 مولود قاسم نايت بلقاسم . شخصية الجزائر الدولية ، ج 2 ، ص 12.
- 44 بوحوش ، المرجع السابق ، ص ص 83-87.
- 45 بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، 99.
- 46 مصطفى الاشرف. الجزائر الأمة و المجتمع ترجمة حنفي بن عيسى . الجزائر دار القصة 2007. ص 7-8.